الرحمة في سورة مريم (عليها السلام): دراسة إيحائية

إعداد
أ.م.د أنوار عزيز جليل الأسدي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين الذي أنزل كتابه رحمة للعالمين, والصلاة والسلام على خير السَّادات أجمعين، أبي الزهراء محمَّد, وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين. أما بعد_ تعددت المناهج وكثرت المصطلحات التي تدرس النصوص اللغوية, ونكاد نرى التداخل العميق بينها لولا انمياز منهج عن آخر أو تفرد مصطلح عن آخر بخصوصية يصلح من خلالها أن يكون منهجاً مستقلاً لدراسة النص اللغوي. وهذا ما وجدناه في المنهج الإيحائي أو الدلالة الإيحائية, فماذا يعني هذا المنهج؟ وما هي أدواته؟ وكيف يمكننا من خلاله أن ندرس اللغة؟ والإجابة عن هذه التساؤلات رسمت لنا ملامح المبحث الأول. أما المبحث الثاني فكان تطبيقاً لهذا المنهج على سورة مريم, من حيث معنى الرحمة لغةً واصطلاحاً, ومدى علاقتها وارتباطها في هذه السورة موضوع الدراسة. وربما اخترت أن تكون الدراسة دراسة إيحائية لا دلالية مثلاً أو لغوية؛ لأن الإيحاء يختلف من شخص لآخر, ولربما أوحى لفظ الرحمة في السورة لباحث ما مالم توحهِ لباحث آخر. وهذا ما يميز الدراسة.

المبحث الأول: الدلالة الإيحائية

الإيحاء لغة: من الوحي, جاء في تهذيب اللغة: يقال: وحيتُ إلى فلان, أحي إليه وحياً, وأوْحت إليهِ أوحِي إيحاءً: إذا أشرتَ إليهِ وأومأتَ, قال العجاج: (وحى لها القرارُ فاستقرت): أي أشار إليها بذلك, وقيل: أمرها. ويقال: وحيتُ الكتابة أحيه وحياً: أي كتبته, فهو مَوْحيّ. وأوْحَى إليه: وهو أن يكلمه بكلام يخفيه من غيره. والوحي: الإلهام, كما في قوله تعالى: ﴿ وأوحَى ربُّكَ إلى النحلِ﴾[1]. وقيل في قوله تعالى: ﴿ فَأوحَى إليهم أنْ سبحُوا بُكرَةً وَعَشِياً﴾[1]: أشار إليهم, قيل: والعرب تقول: أوْحى ووحى, وأوْمى وومى: بمعنى واحد. وقال عزّ وجلّ: ﴿ وأوحينَا إلى أمِّ مُوسَى أن أرضِعيهِ﴾[1]: قيل أن الوحي هنا إلقاء في القلب, إلا أن الإعلام أبين؛ لأنه وحي من الله؛ للضمان لها: ﴿ إنَّا رادُوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين﴾[1]. وقيل: وأصل الوحي في اللغة كلها إعلامٌ في خفاء, ولذلك صار الإلهام والإشارة والإيماء والكتابة وحياً. وقال الله تعالى: ﴿ ما مان لبشرٍ أن يُكلِّمَهُ اللهُ إلا وحياً أو من وراءِ حجابٍ﴾[1]: معناه إلا أن يوحي الله إليه وحياً فيُعلمه بما يعلم البشر أنَّه أعلمه, إما إلهاماً وإما رؤيا, وإما أن ينزل عليه كتاباً, كما أنزل على موسى, أو قرآناً يُتلى عليه, كما أنزل على محمد, وكل هذا إعلام, وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها.[1]

والملاحظ على كلام أبي منصور الأزهري أن الوحي عنده بمختلف معانيه كله إعلام في خفاء. ووافقه في ذلك ابن فارس بقوله: "الواو والحاء والحرف المعتل, أصلٌ يدل على إلقاء علمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة, والوحي: الكتاب والرسالة, كل ما ألقيته إلى غيرك حتى عَلِمَه فهو وحيٌ... وكلُّ ما في باب